

دراسة «المنعَى أو النعي» في المراثة الإسلامية

سيد حيدر شيرازي^١

تاريخ القبول: ١٤٣١/٨/٧

تاريخ الوصول: ١٤٣٠/١٠/١٧

إنَّ «المنعَى أو النعي» - أي إظهار خبر الموت - من الصور(العناصر) المهمة في فنّ الرثاء خاصة أنّ له دور مميّز في الوحي المنزل وفي أدب الشعر. وبما أنّ المنعَى لم يكن موضع دراسة مستقلة لدى النقاد، فإننا سنقدم للنعي تعريفاً اصطلاحياً جديداً ليكون إطاره أوضح وأكثر تمييزاً في فنّ الرثاء من بين سائر العناصر(النُدبة: بيان الحزن وبكاء الميت بتوجع، والتأبين: الإشادة بمناقب الميت، والتعزية: طلب الصبر والتسلي لصاحب الميت). كذلك أوردنا بحثاً آخر في تحديد الفارق بين النعي في الرثاء الساخر والهجاء لما فيهما من الوجوه المشتركة في المضمون. كذلك قسّمنا النعي - في دراسة موضوعية للقرآن الكريم - إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي: النعي المشتّع، و النعي المشيد، و النعي المحايد و ضربنا لكل منها امثله من القرآن الكريم و أشرنا فيها إلى بعض الإيجابيات الأخلاقية و التربوية. و ورنّا النعي - في دراسة أخرى للأدب الشعري الإسلامي - إلى ضربين هما: نعي النفس ونعي الغير؛ وفي كلّ منهما ناقشنا الموضوع فيمن يعنى نفسه أو غيره إنباءً عن الغيب بسنين، وهذا دأب عباد الله الصالحين، و فيمن لا يعنى نفسه أو غيره في رثائه إلا بإشرافه على موته وظهور ملامحه كدأب معظم الشعراء في رثاء أنفسهم، و تمثّلنا فيها بما أنشده شعراء هادفون و ملتزمون.

الكلمات الرئيسية: النعي، الرثاء، الأدب، الميت، الشعر العربي

^١. الاستاذ للمساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر

المقدمة

قالوا في تعريف الرثاء أنه: «فن يعبر به الشاعر عن عواطفه ومشاعره نحو الميت أو الذي يشعر بالموت وينتظره فيبكيه ويعدد مناقبه ويتأمل في الحياة والممات.» (ابو ملحم، ١٩٧٠م، ص ٨٢). والرثاء تصوير للموت وفناء الأشياء و ينطوي فيه النوح والبكاء والندبة والعزاء والتأبين وفيه الحب والأسى والحزن والحرقه. وقد قسموا الرثاء إلى ثلاثة أقسام رئيسية: الندبة والتأبين والتعزية.

درس القداماء فن الرثاء في الشعر الكمبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ.ق) فقد ألف كتاباً مستقلاً سماه «التعازي والمراثي» تطرق فيه لموضوع التعزية وما يقابلها من الجزع لكنه لم يقدم لهما تعريفاً علمياً واكتفى بذكر نماذج ومصاديق شعرية معظمها في التعزية. وقصاري ما نبه إليه في تعريف التعزية أنه قال: «أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يعر أحد من مصيبة مجميم، ذلك قضاء الله على خلقه. فكل تكلم إما متعزياً وإما معزياً، وإما متصبراً محتسباً»، (المبرد، ص ١) و يبدو أنه اعتبر التعزية كالمراثية أو كاحدى دالاتها لا كصورة(عنصر) تتفرع عن المراثية. وهكذا قدامة بن جعفر (٢٦٠ - ٣٣٧هـ.ق) في كتابه «نقد الشعر» تحت عنوان «نعت المراثي» والذي ذكر فيه الفارق بين المراثية والمديحة بقوله: «ليس بين المراثية والمديحة فصل إلا أن يذكر في مثل كان وتولى وقضى نجه وما أشبه ذلك ...». (قدامة بن جعفر، ١٣٠٢ق، ص ٣٣) كما أنه ذهب في موضع آخر إلى أنه «لا فصل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى ...». (قدامة بن جعفر، ١٣٠٢ق، ص ٤٣) لكن بالنسبة إلى تعيين صور(عناصر) أخرى للرثاء فإنه مسكوت عنها ولم يذكر فيه شيء. وهكذا فيما أورده ابن عبد ربه (٢٤٦ - ٣٢٨هـ.ق) في كتابه «العقد الفريد» تحت عنوان «كتاب الدرّة في التعازي والمراثي» فإن ما تحدّث عنه لم

يتجاوز عدة روايات في الجزع أو البكاء أو التعزية، من دون أيّ تفصيل أو تعريف لغويّ أو علمي(اصطلاحى) لتلك الصور(العناصر). وعندما نأتي إلى كتاب آخر في النقد نحو «العمدة» لابن رشيق (٣٩٠ - ٤٦٣هـ.ق)، فله في باب الرثاء ذكرٌ للفوارق بين الرثاء والمدح و عني بتعريف الرثاء اجمالاً، فمثلاً عندما يتناول ابن رشيق موضوع الرثاء وينبّه فيه إلى عنصر البكاء، فإلى جانب ما يتعلق به كأن يكون المرثي ملكاً أو رئيساً كبيراً، يعرّف الرثاء على سبيل العموم من دون تحديد (صور)عناصر له قائلاً: «وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهّف والأسف والإستعظام، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً.» (ابن رشيق القيرواني، ١٤٠١ق، ج ٢: ١١٧) كما قال النابغة(المتوفى نحو ١٨هـ.ق) في حصن بن حذيفة بن بدر:

يقولون: حصن، ثم تأبى نفوسهم

وكيف بحصن؟ والجبالُ جُمُوحُ

ولم تلفظ الموتى القبورُ، ولم تزل

نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ

فعمّا قليلٍ، ثمّ جاشَ نعيُّه

فباتَ نديّ القوم وهو ينوحُ

(النابغة الذبياني، ١٤١٦ق، ص ٤٦)

التفجع واستعظام المصيبة من ظواهر هذا الشعر ومما يدل على ذلك أنّ الناس يتحدثون عن حصن و قلوبهم ملأى بالحزن والأسى فلا يقدرّون على التفوّه بموته لعظم الخطب ووقعه المؤلم في صدورهم وأما طريقة استعظام موته فهي ظاهرة في الإعجاب بموت حصن في أنّه كيف يموت حصن والجبال لا تزال راسية راسحة والموتى مستقرّون في قبورهم والسماء بنجومها وأعمدتها ثابتة غير متغيّرة. حتّى أنّه يعتبر النعي مبكراً له.

علي الخطيب، ص ٢٨) إنّه في الواقع درس المعاني اللغوية لهذه الألفاظ وبحث فيها عن صلتها بالمعاني المجازية التي تنتهي بالتالي إلى التعريف الإصطلاحي الجديد للرثاء، لكنّه لم يتناول موضوع النعي في معناه الإصطلاحي كدراسة مستقلة تتم عن صورة مجزأة من صور الرثاء ليناقد مظاهرها ومصاديقها الشعرية. وعلى هذا قمنا في هذا المقال بدراسة جزئية أكثر للمعنى لنقدّم له تعريفاً يبين دوره أو مكانته فيما بين هذه الصور (العناصر) الثلاث لما وجدنا له من الجدارة لبحثه وعرضه. وهناك صور (عناصر) أخرى - بالإضافة إلى الندبة والتأبين والعزاء - لفن الرثاء قمنا بفصلها عن هذا البحث إلى جانب المعنى، مثل الجزع، والنيابة، والمآتم والدعاء والحداد فأفردنا لكل منها تعريفاً لغوياً واصطلاحياً في دراسة مستقلة لم نتعرض إليها لكونها خارجة عن هذا البحث.

النعي لغةً واصطلاحاً

كانت العرب إذا قتل منهم شريف أو مات بعثوا ركباً إلى قبائلهم يتعاه إليهم ... قال الجوهري (المتوفى ٣٩٣ هـ.ق): «كانت العرب إذا مات منهم ميت له قُدْرٌ ركب ركب فرساً و جعل يسير في الناس و يقول: نَعَاءٌ فلاناً أي نَعَهُ و أظهر خبر وفاته.» (الفراهيدي، ١٤١٤ ق، ج ١٥: ٣٣٣) و قال أبو زيد: النَّعِيُّ الرَّجُلُ المَيِّت، و النَّعْيُ الفِعْلُ و أوقع ابن جحّان النَّعْيَ على الناقة العقيّر فقال:

زَيْفَةٌ بَنَتْ زَيْفٍ مُدَكَّرَةٍ

لَمَّا نَعَوْهَا لِراعي سَرَحْنَا انْتَجَبَا

(المصدر نفسه)

واصطلاحاً هو الإخبار عن أجل عاجل أو أجل، وإدلاء بما يبته المتوفى حين موته من الهموم والخواطر في نفسه وبما يوصي من الوصايا لذوي قرباه، وبيان لتمنيته الموت وتوقعه

كما يبدو من سياق الشعر وفحواه أنّه مصطبغ باحدى العناصر الأساسية للمرثاة وهي عنصر النعي لما فيه من تعظيم المصيبة والإغتمام بها والإخبار عنها حسب ما قدّمنا له من التعريف للمعنى في هذه الدراسة. وأخيراً فيه إشارة مختصرة إلى النياحة. لكن ابن رشيق شأنه شأن بقية النقاد اكتفى بذكر الرثاء من غير أن يعتبر له صور (عناصر) تتفرّع عنها.

أما الأدباء المعاصرون فقد اقتصرنا في تقسيم الرثاء على صور (عناصر) ثلاثة فحسب ولم يزدوا عليها صورة (عنصر) جديدة ليناقد مظاهرها، فمثلاً تناول شوقي ضيف في كتابه «الرثاء» موضوع المرثية و جعل لها ثلاث صور رئيسية من الندب والتأبين والعزاء حيث شاعت تلك الصور في الرثاء الجاهلي واستمرت في الأدب العربي في عصوره المختلفة. واعتبر شوقي «النوح والبكاء على الميت» (شوقي ضيف، ص ١٢) ضمن الندب وأضاف التأبين كصورة أخرى من مضامين المرثية في «إشادة الميت ومناقبه» (شوقي ضيف، ص ٥٤) ثم أتى بالصورة الثالثة وهي العزاء وجعل «استعماله في الصبر على كارثة الموت.» (شوقي ضيف، ص ٨٦) كذا في كتاب «في الأدب وفنونه» بعد أن يعرف الكاتب فنّ الرثاء بأنّه: «فن يعبر به الشاعر عن عاطفته نحو ميت فيبيكه ويعدد مزاياه ويتأمل في الحياة والموت» (ابو ملحّم، ١٩٧٠ م، ص ٨٢) يذكر أنواعه من الندب والتأبين والعزاء ولم نجد في هذا التقسيم أيضاً ذكراً عن النعي ولم يُفرد له دورٌ يميّزه عن تلك الصور (العناصر).

وعلى النمط نفسه وجدنا ما سارت عليه المؤلفات المعاصرة الأخرى التي كانت بمتناول أيدينا، والذي يجدر ذكره هنا أنّ النعي لمحّ إليه البعض ضمن «الألفاظ التي تستعمل بمعنى الرثاء وهي: أبّن وندب ونعي» (محمد علي الخطيب، ص ٢٤) إلى أن قال في كلمة «نعي» وعلاقتها ب«رثي»: «ومن ألفاظ الرثاء نعي وهي تتردد كثيراً في الشعر.» (محمد

قبل موافاته، وفيه إشاعة بذكر الموت و وصف حالته ومراحله كما في الإحتضار وذكر الظروف التي يُتوفى فيها الميت بالإضافة إلى كشف الحقيقة عمّن قتله وكيف يكون تكفينه وتشيعه وتدفينه. ومن مصاديقه تعظيم المصيبة والإشارة إلى غيابه ومكانه الموحش.^٤

أهمية النعي ومكانة الناعي

من خلال ما بلغنا عن بعض المراثي يظهر لنا أن النعي من العناصر المهمة في الرثاء، لا يتقنه إلا من كان شاعراً و له علم ومعرفة وخبرة في كيفية الإخبار عن الكوارث وجلل مصائب الناس، خاصة الإعلان عن موت الأحباء، وكيف لا؟ وهو - أي النعي - مطارحة حديث هامّ يندesh منه المخاطب أو المصاب ويؤثر في نفسيته سلباً وإيجاباً فلا بدّ من إعدادة نفسياً وعاطفياً ليستفرغ بعض نثبات صدره ويستنفد منه بعض همومه بتشجيعه على البكاء وتمهيدته للصبر والصمود ويهدّئ من روعه بمواساته ومداراته . وأحياناً إذا عظم الخطب وجلّت المصيبة يقوم الناعي بتمهيد النفوس لإقامة المآتم والندبة والنياح، وللجهر بالظلامات^٥ حسب الظروف السياسية والإعلامية السائدة، و يتبين ذلك أكثر عندما فوّض الإمام السجاد(ع) نعي حسين بن علي(ع) إلى بشير بعد واقعة عاشوراء في الحديث التالي حيث يترأى فيه نعي عاطفي سياسي ممتزج بالندبة، نعي مسبل للدموع ومقروح للقلوب. قال بشير بن حذلم: لما قرنا من المدينة نزل علي بن الحسين وخطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر فقال(ع): ادخل المدينة وانع أبا عبد الله(ع)، قال بشير: فركبت فرسي حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكريلاء مضرّج
والرأس منه على القناة يُدار
وقلت: هذا علي بن الحسين مع عماته واخواته قد حلوا
بساحتكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ، فخرج الناس
يهرعون ... «(المقرّم، ١٤١٤ق، ص ٣٧٤) والظاهر من
الحديث أنّه قد اصطفى بشير عمّن سواه ناعياً لمكانته وخبرته
وإحاطة علمه ومعرفته بآل بيت رسول الله(ع) وإمامه بتراث
أبيه في فنون الشعر وإلا لما كان فيه من الضرورة أن يمتاز عن
غيره ويعهد إليه بهذه المهمة الرسالية.

النعي بين الرثاء الساخر والهجاء

مما يجدر ذكره هنا بأنّ الرثاء بما يغلب عليه من الرقة والبكاء وتأثر القلب فإذا كان يشتمل على الإخبار والتشنيع من دون التباسهما برقة وبكاء وانتأى عن أقلّ مستلزمات الرثاء من إظهار الحزن والأسى ودخل أجواء تعبيرية وتشنيعية فحسب فإنّه ملحوظ من هذه الجهة المعينة في فنّ آخر من الأدب وهو الهجاء كما في سورة الفيل حيث نعى الله عزّوجلّ أصحاب الفيل بوصف عذابهم وهلاكهم: «أَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَمْ لَمْ يَعْمَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ»(الفيل/١-٥) وقد يعتبر هذا الضرب من النعي رثاءً ساخرًا لما فيه من ذكر الموت وكيفية هلاك المتوفى وأسبابه ولما امتزج فيه الموضوع بالتعبير والكبت والتبكيك المدقع، ومثله منعى قوم ماتوا على الكفر بداعية التعبير في قوله الكرم: «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.» (البقرة/١٦١) وعلى هذا النمط وردت مناعٍ مسترسلة كثيرة

سورة البروج ابتدأت القصة بمقدمة توثيقية لحادثة مفجعة أراد الله سبحانه أن يبينها ويرثي أصحابها عبرة للأجيال القادمة فاستهلّت بالأقسام الأربعة « وَ السَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ * وَ أَيُّومِ المَوْعُودِ * وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ » (البروج/١-٣) والكلمات المقسم عليها لها صلة بالموضوع من حيث حبكة القصة وبيان جلال المصيبة والتحذير للظالمين والتمهيد للنعي المشحي... وأما جواب القسم فهو مبتدئ بالإخبار عن قتلهم الشنيع في قوله تعالى: « قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ » (البروج/٤) و عنصر النعي من اساليب الرثاء الأصلية لاستهلال رثاء كارثة بشرية مبكية، نظير قول الراثي « قتل الحسين عطشاناً » أو عنصر الدّعاء على الكفار بهلاكهم واللعن عليهم كما أن توصيفهم بالأخدود بيان لكيفية القتل التي جرت على المؤمنين، فتواصل السورة تصوير مسرح الحدث إستارة للعواطف وتحييها بوصف الأخدود « النَّارِ ذَاتِ الوُقُودِ » (البروج/٥)، ففيه إيحاء بالتهاب النار في الأخدود كلّ، كأن لم يبق أخدود إلا الوقود فيصف شدة شعرة النار التي أجتحت لإحراقهم ، وهو ترسيم لبشاعة الجناية وفضاعتها... ثم يتابع القرآن الكريم « إِذْ هُمْ عَلَيَّهَا فُعُودٌ » (البروج/٦) وهو بيان للقطعة أخرى من مسرح عمليات الحادثة التي أوقعها الظالمون على المؤمنين من إرعايمهم وتهديدهم بإحلاسهم على شفير الأخدود المتأجج أولاً لأجل ممارسة الضغط عليهم ، ثم تتابع السورة « وَ هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ » (البروج/٦) وهذا بيان يجسد فوران الشفقة الإلهية على الظلامة والتلهّف على ما يُفعل بالمؤمنين وكيف لا و الرثاء من دعائمه الرقة والإشفاق والحزن.. ثم تلو السورة « وَ مَا نَعْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (البروج/٨-٩) لتبين براءة المؤمنين والتركيز على شدة الظلامة عليهم ويمدح صلابة المؤمنين وضمودهم وعلو

في الأدب المنشور أو المنظوم. نحو ما قاله المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ.ق) في موت ابن كيلج :

قالوا لنا مات اسحاق فقلتُ لهم

هذا الدواء الذي يشفي من الحُمق

إن مات مات بلا فقد ولا أسفٍ

أوعاش عاش بلا خلقٍ ولا خُلُقٍ

فسائلوا قاتليه كيف مات لهم

موتاً من الطرب أم موتاً من الفَرْقِ

(المتنبي، شرح البرقوقي، ١٤٠٧ ق، ٩٨/٣)

وثمة نعيّ يخلو من خصائص الرثاء و الهجاء حيث يصعب تمييز كل منهما. والناعي يسترسله وفقاً لوعيه السياسي المستهدف ونظراً لظروف مجتمعه التي يعيش فيها نحو ما وجّه علي بن أبي طالب (ع) من كلام رمزيّ إلى الناس في وفاة عمر بن الخطاب في خطبته المشهورة الشقشقيّة حيث نرى فيها رثاءً فارغاً من عناصره لمصالح سياسية فلا تلقى فيه تأييداً ولاندية ولاعزاء كما لا تجد فيه إعلاناً عن حدادٍ ولا جزعاً ولا نياحاً وإتما هو نعي متتوف مما ينمق الرثاء ومعطوف بكل المقومات السياسية. وقوله (ع): «... حتى مضى الأول لسبيله وأدلى به إلى فلان بعده...» (الإمام علي، شرح عبده، ج ١: ١٣)

النعي في أدب السماء

إنّ الله تعالى رثى ونعى سلسلة أجيال بشرية منذ أول ظلامة تاريخية وقعت على ابن آدم هابيل، إلى ذكر مصائب جليلة منصبية على القادة و المصلحين من الأنبياء والرسل وعلى الرواد والمسلمين من الرجال والنساء والأطفال المجني عليهم طي القرون الغابرة المتتالية. ورثى الله قوم فرعون المستضعفين وناقاة صالح وغيرهم كما ذكر أصحاب الأخدود، فمثلاً في

والتحريض على أخذ الثأر والقتال وتحييج العصبية القبليّة كان له أهداف مثبّطة عن استكبار المنكرين وأتباعهم. وإنذار شديد لأشياعهم أن يعودوا إلى مصيرهم من الضلال والغواية. إنّ الله تعالى نعى قوماً ظالمين كذبوا بالدين وانحرفوا عن اليقين فشملمهم العذاب الأليم . فأخبر عن موتهم بالإهلاك في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: « وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا » (مريم/٩٨) وقوله تعالى: « وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنْثًا وَ رِئِيًّا » (مريم/٧٤)

وفي المرتبة الثانية (النعي المشيد): يقصد بالنعي الإشادة بالميت وفضائله وإعلاء شخصيته ومقامه ، فإنه لا ينعاه إلا ليشيع له ذكره ويزيد من كرامته فيرسل إليه أماديجه تأبيناً له كما يقال في اللغة: « نعى فلان على فلان أمراً إذا أشاد به وأذاعه ». (الفراهيدي، ١٤١٤ ق، ج ١٥ : ٣٣٣). ونعى الله قوماً صالحين مؤمنين نعيّاً موجهاً معبراً عن ذلك بالقتل في سبيل الله ومشيراً إلى أنهم أحياء يعيشون حياة طيبة مزروقين كقوله تعالى: « وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » (آل عمران/١٦٩) وقوله تعالى: « وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَبِيرُ الرَّازِقِينَ ». (الحج/٥٨)

وفي المرتبة الثالثة (النعي المحايد): يريد الناعي بهذا الأسلوب الإخبار عن أغراض أخرى دون إعلاء شأن المخاطب وتفضيله والإشادة به ممّا رأيناه في النعي المشيد ومن غير التشهير به وتعيره ممّا لمسناه في النعي المشنع وإنما يستهدف الناعي أحياناً إبانة فرائض وأحكام مما يخصّ المحتضر أو المتوفى وأهله كما في قوله تعالى: « كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ». (البقرة/١٨٠) أو

مبدهم في الإيمان بالله العزيز الحميد، ثم يبدأ الله تعالى بتهديد الظالمين والتنديدهم من موقع المالك للسموات والأرض والشاهد المراقب لكلّ الأمور ، ثم يقول تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » (البروج/٩). وهكذا إلى آخر السورة، حيث يبدأ بعد ذلك بتأبينهم على وجه التعزية والمواساة... والبراءة من قاتليهم وأعدائهم... وهو بذلك يربي المسلمين والمؤمنين عبر هذه المناهي القيّمة؛ يربيهم على الصمود والجهاد في سبيل الله وعلى التضامن مع المظلومين والنفرة والتنديد بالظالمين.

ورد النعي في أدب السماء في مراتب ثلاثة وفقاً لشأن المخاطب فيما إذا كانت مرتبته دنيّة أو كانت له مكانة رفيعة أو بين ذلك. ففي المرتبة الأولى (النعي المشنع): يراد بالنعي التشهير بالميت وبغضه والتشيع عليه بما اقترف من ذنوب جسيمة وجرائم عظيمة مما أفضى به إلى إهلاكه و إبادته. وفي معناه ورد في اللغة: « وَ نَعَى عَلَيْهِ الشَّيْءَ يَنْعَاهُ: قَبَّحَهُ وَ عابه عليه وَ بَجَّحَهُ. وَ نَعَى عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ: ذَكَرَها له وَ شَهَّرَهُ بها. وَ النَّاعِي: المَشْنَعُ ». (ابن منظور، ج ١٥ : ٣٣٥) في الواقع قد يخالط هذا النوع من الرثاء هجاء لاذع لما فيه من شرّ العاقبة عند نهاية المصير. و في حديث عمر بن الخطاب: « إنّ الله تعالى نعى على قوم شهواتهم أي عاب عليهم. و في حديث يقال: أنعى عليه و نعى عليه شيئاً قبيحاً إذا قاله تشنيعاً عليه ». (ابن منظور، ج ١٥ : ٣٣٣) كما أنّ إمرؤ القيس: « كان من الشعراء الذين نَعَوْا على أنفسهم بالفواحش و أَظْهَرُوا التَّعَهُرَّ ». (ابن منظور، ج ١٥ : ٣٣٣) إنّ المنهاج الذي سلكه القرآن الكريم في النعي المشنع يختلف اختلافاً بيناً عما دأب عليه عدد من الشعراء المتأثرين بالعقلية الجاهلية طيلة قرون، إذ أنّ النعي المشنع في أدب الوحي بخلاف ما كان عليه الأدب الجاهلي من إثارة الفتنة

يستهدف أغراض أخرى كالتذكير والإرشاد و التهويل و ما إلى ذلك ليكون النعي هادفاً مريئاً ومذكراً لجماعة بشرية. أن لا تكتنفه الغفلة. كما في قوله تعالى: «... فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ...» (البقرة/٢٥٩) حيث تنكشف لنا هدفية النعي، وهي بيان قدرة الله على الإمامة والإحياء وتزويد الإنسان بالإيمان وترسيخ عقيدته في المعاد وكلها عبرة و وعظ وإرشاد إلى صلب الحقيقة كما يظهر ذلك بوضوح من سياق الآية بتأمل بسيط فيها. و كقوله تعالى في نعي سليمان (ع) ليستدلّ بذلك على عدم إحاطة الجن بالأمور الغيبية: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّكُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ». (سبأ/١٤) فكما نلاحظ في تلكم الآيات المعتمدة على اساليب الرثاء أنّ المناعي المسترسلة فيها لم تأت عفوية وإنما فيها أغراض منشودة حسب ما يقتضيه ظرف المخاطب.

ومنها تلك الأغراض التي ترمي إلى جهات سياسية وثقافية. فقد ورد عن أهل البيت (ع) أحاديث غير قليلة تدلّ على هذه المهمة الجليلة في أنّ المنعى في المرثاة له دور بارز في جميع الظروف، خاصة الظروف السياسية الحساسة الحاسمة بين كلّ مُعادٍ ومُوالٍ في الشؤون الإعلامية سواء ما كان في السلم أو الحرب فكما جاء في الحديث: «يجزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا». (الحرّ العاملي، ١٤٠٩ق، ج ١٠: ٣٩٧) قال سبحانه عزوجل: «إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ» (التوبة/٥٠) يظهر الفرح في شماتة العدو من خصمه. ويقول دعبل (١٤٨-٢٤٦هـ.ق) ما يقرب من هذا المعنى:

نَعَوِي وَلِمَا يَنْعِي غَيْرُ شَامِتٍ

وغيرُ عدوّ قد أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

يقولون إن ذاق الردى مات شعرة

وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

(دعبل الخزاعي، ص ١٤٧)

إنّ عداوة أهل البيت (ع) تقتضي الفرح لأعدائهم عند مصابهم وضرائهم والحزن لهم عند حسناتهم وسرائهم؛ وبالعكس إنّ محبة الرسول (ص) و أهل بيته (ع) تقتضي الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم كما يسشف هذا المعنى من مفهوم الآية. وكذلك صدق الله العليّ العظيم في قوله الحكيم: «إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَ إِنْ تَصِيبُوا وَ تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ». (آل عمران/١٢٠) حيث أورثنا التاريخ صفحات سوداء من تلك الجرائم الخبيثة تصديقاً لكلام الوحي واعتباراً لذوي النفوس الطيبة. فمنه ما روي: «أنّ ابن هند كان جدلاناً مستبشراً بموت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قبل ولده الطاهر السبط، فبلغ الحسن عليه السلام وكتب إليه فيما كتب: قد بلغني أنك شممت بما لا يشمت به ذوو الحجي، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

وقل للذي يبقى خلاف الذي مضى

تجهز لأخرى مثلها فكأن قد

وإنّا ومن قد مات ممّا لكالذي

يروح فيمسي في المبيت ليقتدي

(الأميني، ١٣٩٧ق، ج ١١: ١٣-١٤)

واستعداد معاوية فرحته الفارقة حين أبلغه عامل المدينة وفاة الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وفيه قال ابن قتيبة: «فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه» (الأميني، ١٣٩٧ق، ج ١١: ١٢) ولما بلغ ذلك ابن عباس، دخل على معاوية وقال: «وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سد جسده حفرتك،

خزرت ساجدة شكراً على ما بلغها من قتله، ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

هذا وقد روي عن مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاماً باسم عبد الرحمن، قالت عبدي. قلت لها: فكيف سميت عبد الرحمن؟ قالت: حباً لعبد الرحمن بن ملجم، قاتل علي». (الكوراني العاملي، ج ١: ٤٧١ - ٤٧٢) وهذا كله مجاهرة بعداوة أمير المؤمنين، وإظهار فرح وسرور لما فيه من تأويل الآية الشريفة.

النعي في أدب الشعر

للمعنى صدي واسع في أدب المرثاة الشعري خاصة في الأدب الإسلامي لظروفه الخاصة وأهميته البالغة فلهذا ندرس الأمر ههنا في قسمين آخرين: نعي النفس، نعي الغير

١. نعي النفس

قد رثى الكثير من الشعراء والأدباء أنفسهم قبل أن يبلغهم أجلهم وغالبية ذلك كان حين الإشراف على الموت واليأس من الحياة، ولكن منهم من توقعوا حلول المنيّة فيهم إنباءً عن الغيب لهم منذ شهور أو سنين. وذلك قليل ونادر في رثاء النفس بين الرثائيين نحو ما رثى علي بن أبي طالب (ع) نفسه عندما سئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: «مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً». (الأحزاب/ ٢٣) فقال: «اللهم غفراً^٦ هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة وفي ابن عمّي عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فانتظر أشقاهما يحضّب هذه من هذه - وأشار

ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك.... ثم شهق ابن عباس وبكى». (المصدر نفسه).

وفي رواية أخرى أنه: «لما بلغ نعي أمير المؤمنين (ع) إلى معاوية، فرح فرحاً شديداً وباكر نعيه بالإشادة بشجاعته وبسالته قائلاً: إن الأسد الذي كان يفتش ذراعيه في الحرب قد قضى نحبه، ثم قال:

قل للأرانب ترعى أينما سرحت

ولللذباب بلا خوف ولا وجل

وفي رواية الراغب عن شريك أنه قال: والله لقد أتاه قتل أمير المؤمنين وكان متكئاً فاستوى جالساً ثم قال: يا جارية غيّبي، فاليوم قررت عيني. فأنشأت تقول:

ألا أبلغ معاوية بن حرب

فلا قررت عيون الشاميتنا

أني شهر الصيام فجعتمونا

بخير الناس طراً أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا

وأفضلهم ومن ركب السفينا

فرجع معاوية عموداً كان بين يديه فضرب رأسها وثر دماغها»^٦ (الشيخ المحمودي، ج ٨: ٥٠٧ - ٥٠٨)

وكذا في فرح عائشة بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام وعدم تأسّفها، قال المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ.ق) رحمه الله في الجمل ص ٨٣: «هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مرية في صحتها لاتفاق الرواة عليها، أمّا لما قُتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء الناعي فعنى أهل المدينة، فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وقالت متمثلة:

فإن يك ناعيا فلقد نعاها

غلام ليس في فيه التراب

فقال لها زينب بنت أبي سلمة: أ لعلّي تقولين هذا؟! فتضاحكت، ثم قالت: أنسى، فإذا نسيته فذكروني ثم

وقبر بطوس يا لها من مصيبة
ألحّت على الأحشاء بالزفرات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً
يفرج عنا الهمّ والكربات
(المجلسي، ج ٤٩: ٣٤٨)

وفي ليلة عاشوراء نعى الحسين بن علي (ع) نفسه بإعادة
كلمات موحية بتحتّم موته. وفي اللهوف: «ثم أنّه نزل عن
فرسه، وجلس الحسين (ع) يصلح سيفه ويقول:
يا دهر أفّ لك من خليل
كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وكلّ حيّ فإلى سبيل

ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنما الأمر إلى الجليل

وقال الراوي: فسمعت زينب بنت فاطمة (ع) ذلك
فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل. فقال (ع): نعم
يا أختاه. فقالت زينب: واثكلاه ينعي الحسين (ع) نفسه؟
(السيد ابن طاووس، ١٤١٧ ق، ص ٤٩)
إنه لا يخلو تمّي الموت ولا يستسيغها إلا من عمل صالحاً
بعد إيمانه بالله واليوم الآخر وكان من الصادقين. وعبد الله بن
رواحة الشاعر (المتوفى ٥٦ أو ٦٨ هـ. ق) يبوح في شعره بتمنيّه
الموت أي الشهادة في سبيل الله فيفوز بها:
يا نفس إن لا تُقتلي تموتي

هذا جمام الموت قد لقيت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

(الذهبي، ١٤١٣ ق، ج ١: ٢٤٠)

إلى لحيته ورأسه - عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَيَّ حَبِيبِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» (الشيخ الأميني، ١٣٩٧ ق، ج ٢: ٥١ -
٥٢) و نحو ما رثى نفسه (ع) بتمثله ببيت لعمر بن معدني
كرب في حديث له مع ابن ملحج المرادي - لعنه الله -:
أريد حباءه ويريد قتلي

عديرك من خليلك من مراد

(الشيخ المفيد، ١٩٩٣ م، ج ١: ١٢ - ١٣)

ومثل ذلك عندما نعى نفسه (ع) في الليلة التي قتل في
صبيحتها. وهو يقول: «والله ما كذبت ولا كذبت، وإنما
الليلة التي وعدت بها». ثم يعاود مضجعه، فلما طلع الفجر
شدّ إزاره وخرج وهو يقول:
أشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لا قبكا

ولا تجزع من الموت

إذا حلّ بوادিকা

فلما خرج إلى صحن الدار استقبلته الإوز فصحن في
وجهه، فجعلوا يطردونهن فقال: «دعوهن فإنهن نوائح، ثم
خرج فأصيب عليه السلام». (الشيخ المفيد، ١٩٩٣ م، ج ١:
١٦) وقد ذكر عنه (ع) استعداده من غير مرّة للقاء المحبوب
واحتضان المنية. قال أمير المؤمنين (ع): «والله لابن أبي
طالب أنس بالموت من الطفل بثدي امه». (المجلسي،
ج ٢٨: ٢٣٤ والإمام علي، شرح عبده، ج ١: ٤١)

ونحو ما نعى الإمام الرضا (ع) نفسه في تائية دعبل ولا
يعلم بذلك أحد غير الله، وذلك لما انتهى دعبل إلى قوله:
وقبر ببغداد لنفس زكية

تضمّنها الرحمن في الغرفات

(دعبل الخراعي، ١٤١٧ ق، ص ٦١)

فقال الإمام الرضا (ع): أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين

بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا بن رسول الله فقال (ع):

وقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّؤْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (الجمعة/٦) فهي كانت مباهلة باهل بما الرسول (ص) اليهود فنكلوا عنها خوف نكال الموت الذي بعده العذاب، و لم يقبلوا التحدي فيها، كما نكل نصارى نجران.

وهناك شعراء - وليس عددهم قليل - قاموا برثاء أنفسهم على الإطلاق أو عند إشرافهم على الموت ويقينهم به فتنافسوا في حلبة الرثاء و تنادوا فيها بالموت والحكم الجبارة فيه وأتقنوا وأجادوا فخلدت مشاعرهم وأحاسيسهم المرهفة أشعارهم الموجهة التي سجّلت في صفحات التاريخ فخلّفوا لأبنائهم تراثاً أديباً قيماً ليتأدّبوا به ويتذكروا لو كانوا من المتذكرين. فمن جزاء ذلك ذكروا أنه أول من ذم الدنيا وبكى على نفسه وذكر الموت في شعره هو يزيد بن حذاق^١ في قوله:

هل للفتى من بنات الدهر من واق

أم هل له من حمام الموت من راق
(الزركلي، ١٨٢/٨)
ثم يذكر موته ودفنه بأيدي خيار قومه حسباً وتقسيم أمواله من طريف وتالد بين الوراث وإعلان ناعيه خبر موته. ومالك بن الربيع التميمي (المتوفى نحو ٥٦٠ هـ.ق) قصيدة رائعة في هذا المجال. يقال أنه كان قد خرج مع سعيد بن عفان لما ولي خراسان. فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه، فإذا بأفعى في داخلها فلسعته، فلما أحس الموت استلقى على قفاه ثم أنشأ يقول:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

بجنب القضي أزجي القلاص النواجيا
(البغدادي، ١٩٩٨م، ج ٢: ١٨١)
ويذكر موته غريباً وبعيداً عن الوطن والديار والأهل بحيث لا يرى باكياً له سوى سيفه ورمحه.

وذكر في صفة قتله في غزوة مؤتة - وكان ثالث الأمراء بما استشهد في جمادى الأولى سنة ثمان (ابن حجر، ١٤١٥ق، ج ١: ٤٩٢) - أنه: «كان زيد بن أرقم يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة فخرج معه إلى سرية مؤتة فسمعه في الليل يقول {مخاطباً ناقته}:

إذا أدتيني وحملي رحلي

مسيرة أربع بعد الحساء^٢

فشأنك فانعمي وخالك ذم

ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وجاء المؤمنون وخلقوني

بأرض الشام مشهور الثواء

فبكى زيد فحفقه بالدرة فقال ما عليك يا لكع أن يرزقي

الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل.» (ابن حجر،

١٤١٥ق، ج ٤: ٧٤)

وفي استقبال الموت ورثاء النفس لا شك أن الحبين على تفاوت مراتبهم وإختلاف مقاماتهم ودرجاتهم يبتهجون وينشرون وينبسطون للقاء المحبوب ويحزنون ويكتئبون ويتألمون للحرمان منه، لا سيما أولياء الله المشتاقين إلى إدراك الفيوضات الرحمانية اللامتناهية النازلة من الذات المقدسة، بحيث لو لم تكن آجالهم مقدرة لما استقرت أرواحهم في أبدانهم. وطالما تمناه أصحاب الرسول (ص) وشيعته قبل استشهادهم حيث رثوا أنفسهم على أمل التوصل إلى هذه البغية المباركة كما قال أمير المؤمنين (ع) في خطبة المتقين: «ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب» (الإمام علي (ع)، شرح عبده، ج ٢: ١٦١)

وأما الظالمون فإنهم يخافون أن يتمنونه لما اقترفت أيديهم من الذنوب كما وعد بذلك سبحانه وتعالى في قوله الكريم: «و لا يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ...» (الجمعة/٧)

شاهدة قبره كالمعتمد وابي العتاهية(المتوفى ٢١١هـ.ق) الذي
أوصى بأن تكتب هذه الأبيات على قبره:

أذن حي تسمعي
اسمعي ثم عي وعي
انا رهن بمضجعي

فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة
ثم وافيت مضجعي
ليس شيء سوى التقى
فخذي منه أو دعي

(أبو العتاهية، ٢٠٠٤م، ص ٢٢٦)

٢ . نعي الغير

ومن المراثي من يعنى غير نفسه إنباءً عن الغيب تحذيراً أو
إرشاداً له ولمن يعيه. وقد يكون الرثاء عامّاً يشتمل على كلِّ
ذي نفس ناطقة من دون تحديد أسباب الموت أو تحديد
العهد الذي يحين فيه الأجل والله سبحانه وتعالى هو أوّل من
رثى الإنسان على الإطلاق في مواضع من كتابه الكريم لدواعٍ
عدة. فمن قوله الكريم: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ». (العنكبوت/٥٧) وقوله الكريم: «أَيْنَمَا تَكُونُوا
يُذَرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشْبَدَّةٍ». (النساء/٧٨)
وخصّ النبي(ص) بالنعي في قوله الكريم: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ
مَيِّتُونَ» (الزمر/٣٠) كما أنّ النبي(ص) نعى أهل بيته وبكى
عليهم في عهد رسالته وهكذا الأئمة المعصومين عليهم
السلام نعى بعضهم البعض حيث يبدو من ذلك أنّ النعي
ليس أمراً اعتيادياً ليتمكن الغافل من التجاهل عنه وإنّما له
من الأهمية البالغة وفيها العديد من الفوائد الثقافية والسياسية
الفاعلة. والأمر تجلّو فاعليته البارزة عندما نلتقي بمناج
مسترسلة غيبية يحدث بها هادي الهداة رسول الله (ص) وحماة

وأبوفراس الشاعر الشيعي بعهد الحمدانيين هو الآخر يعنى
نفسه في لآلٍ من شعره ويلمّح فيه إلى تلك البشرية في الرؤيا
الصادقة التي رآها أمّه من قبل وقد نعته إلى نفسه باستشهاده
وقال أبوفراس(٣٢٠ - ٣٥٧هـ.ق) في ذلك:

وقد علمت أمّي بأنّ ميني
بحدّ سنانٍ أو بحدّ قضيبي
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها

بمهلكه في الماء أمّ شبيب
(أبوفراس الحمداني، ١٤١٧ق، ص ٥٤)
وقد توقع أبوفراس في رثائه لأمه بعد عودته من الأسر بأنّه
سيوافيه أجله بقتله ويقول:
أيا أمّاه كم سرّ مصونٍ

بقلبك مات ليس له ظهورٌ
أيا أمّاه كم بشرى بفرّبي
أتتك ودونها الأجل القصيرُ
نسلّي عنك أنا عن قليلٍ

إلى ما صيرت في الأخرى نصيرُ
(المصدر نفسه، ص ١٦٢)
فالرثاء على ما سبق تفصيله في نعي النفس لا يقتصر
على الزمن الغابر وإنّما تأتي من المراثي ما تتناول المستقبل ولا
تخالطها قيود دالة على الماضي رغم ما ذهب إليه ابن رشيق
في تحديده بالزمن الغابر عندما قال: «أنّه يخلط بالرثاء شيء
يدل على أنّ المقصود به ميت، مثل «كان»، أو «عدمنا
به كيت وكيت» وما يشاكل هذا ليعلم أنّه ميت». (ابن
رشيق القيرواني، ١٤٠١ق، ١٤٧/٢)، و مثل هذه المراثي
التي تتناول المستقبل غير قليلة لدى الشعراء القدماء
والحديثين، وجرى ذلك كثيراً على ألسنتهم في رثاء انفسهم
مثل ابي نواس وابي العتاهية والمعتمد بن العباد وابي القاسم
الشابي ، وبعضهم كان يوصي أن يكتب بعض رثاءه على

ولقد قلت قولة
وأطلت التبليدا
لعن الله حوشباً
وخراشاً ومزيدا
ويزيداً فإنه
كان أعتى وأعددا
ألف ألف وألف آل
ف من اللعن سرمددا
إنهم حاربوا ال
إله وأذوا محمدا
شركوا في دم المطهه
رزيد تعندا
ثم عالوه فوق جد
ع صريعاً مجردا
يا خراش بن حوشب^{١١}
أنت أشقى الورى غدا
(الطبري، ١٤٠٧هـ، ٢١٠:٤)
هذا و نعي ابنه يحيى جرياً على لسان ابن عمه جعفر بن
محمد الصادق(ع): «... إنك تُقتل وتُصلب كما قتل أبوك
وصلب...» (الإمام زين العابدين (ع)، ١٤١١هـ، تحقيق:
الابطحي، ص ٦١٨)
ونعى علي (ع) استشهاد الحسين وأصحاب الحسين (ع)
عندما مرّ بكربلاد في اثنين من أصحابه قائلاً: «هذا مناخ
ركابهم ، وهذا ملقى رحالمهم ، وها هنا تھراق دماؤهم . طوبى
لك من تربة عليك تھراق دماء الأجابة» (المجلسي، ج ٤١:
٢٩٥؛ وج ٤٤: ٢٥٨). ورتاه في الحراب وهو مطروح مشقوق
الرأس (الموسوي المستنبت، ١٣٨١هـ، ج ١: ٣٤) ورتاه في
المدينة والكوفة وغيرهما على المنبر و في المسجد لمناسبات مختلفة
ويذكر حالاته نظماً ونثراً فيكي. وفي بعضها:

الدين من الأئمة المعصومين(ع) عبرة وتذكرة لجيلهم وأجيالهم
القادمة طي القرون.
ومن هذه المناعي عن ظهر الغيب قول الرسول(ص) في
زيد بن علي(ع)(٧٩- ١٢٢هـ.ق): «إنه يخرج ويُقتل
بالكوفة، ويُصلب بالكناسة، يُخرج من قبره نيشاً، ولروحه
أبواب السماء، وتبتهج به أهل السماوات والأرض».
(الأميني، ١٣٩٧هـ، ج ٣: ١٠٦). وقول أمير المؤمنين(ع)
وقد وقف على موضع صلبه بالكوفة، فبكى وبكى أصحابه،
فقالوا: ما الذي أبكاك؟ قال: إن رجلاً من ولدي يُصلب في
هذا الموضع، من رضي أن ينظر إلى عورته كبه الله على
وجهه في النار». (المصدر نفسه) وقد رثاه شعراء من الشيعة
مثل الكميت، سديف بن ميمون، أبو محمد العبدي الكوفي،
السيد الحميري، والفضل بن عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث
بن عبد المطلب (المتوفى ١٢٩هـ. ق)، أبو ثميلة صالح بن
ذبيان الراوي عن زيد، والوزير صاحب بن عباد، والشيخ
صالح الكواز الحلبي، والشيخ يعقوب النجفي (المتوفى
١٣٢٩هـ. ق) وغيرهم ممن ذكر من أشعارهم العلامة الأميني
في غديره في باب «زيد الشهيد والشيعة الإمامية
الإثنا عشرية». (الأميني، ١٣٩٧هـ، ج ٣: ١٠٨ -
١١٤). فللكميت(٦٠ - ١٢٠هـ.ق) في زيد:
يعز علي أحمد بالذي
أصاب ابنه أمس من يوسف
حبيث من العصبة الأخبثين
وإن قلت زانين لم أقذف^{١٢}
والسيد الحميري(١٠٥ - ١٧٣هـ.ق) قام بنعيه وكيفية
قتله وذكر قاتليه ولعنهم في رثائه له - كما في تاريخ الطبري
- وقال:
بت ليلي مسهداً
ساهر الطرف مقصدا

كأني بنفسي و أعقابها

و بالكربلاء و محرابها

فتخضب منها اللحي بالدماء

خضاب العروس بأثوابها

ومن ذلك ما روي في أنّ الإمام موسى بن جعفر (ع) أهني إليه الخير بأن موسى بن المهدي الخليفة العباسي حلف بقتله ، وعنده جماعة من أهل بيته، فقال لهم، ماتشرون؟ قالوا نشير عليك بالإبتعاد عن هذا الرجل وأن تغيب شخصك عنه فإنه لا يؤمن شرّه ، فتبسم ابو الحسن (ع) متمثلاً:

زعمت سخينة ان ستقتل ربها

وليغلبن مغلب الغلاب

ثم أنشد^{١٢}:

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا

أبشر بطول سلامة يا مريع

وبعدما رفع رأسه إلى السماء وناجى ربه بكلمات أقبل على أصحابه فقال لهم: « يفرخ روعكم^{١٣} فإنه لا يأتي أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن المهدي، قالوا: وما ذاك أصلحك الله؟ قال وحرمة صاحب القبر قد مات من يومه هذا والله «إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْكُمُ تَنْطِفُونَ» (الذاريات / ٢٣). ثم تفرق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتب الواردة بموت موسى بن المهدي». (المجلسي، ج ٤١: ٢١٧) فالإمام الكاظم (ع) بدلاً من أن يعنى نفسه أو يحتمل أنه قد حان أجله، أخبر بموت الخليفة العباسي ونعاه عن ظهر الغيب. وقد نعى الإمام الحجة آخر نوابه قبل ستة أيام من عمره في توقيع أخرجه السمرري (المتوفى ٣٢٩ هـ.ق) إلى الناس «بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمرري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ... إلى آخر الحديث» (الشيخ الطوسي، ص ٣٩٥) وحسبنا ما ألعنا إليه وإلا هذا المجال متسع للإسهاب فيه.

وأما ما يجدر بنا ملاحظته هو أن هذه المراثي المنطلقة من الإيمان بالغيب والمتحتم وقوعها من دون ظهور آثار الموت وملاحظه، تتفاوت عن المراثي الأخرى لبقية الشعراء الذين لا يقومون برثاء النفس إلا عند إشرافهم على الموت المتحتم وتبدي علائمه من خلال مرض يصابون به لا علاج فيه، أو يقدمون على رثاء النفس رجماً بالغيب، لا عن حقيقة واقعية متصلة بالوحي والشعور الذاتي. أليس الشاعر المعاصر سامي البارودي لم يرث نفسه إلا حين اقترب من الموت وبرزت معالمه ويئس كل اليأس من الحياة في النفي من بعد ما أورثه السقام والعلل ، فكفّ بصره وضعف سمعه، و وهن جسمه، وفقد أحبائه ونعاهم في رثائه لنفسه فقال حينئذٍ من قصيدة رائعة مطلعها:

أتراها تعودُ بعد الذهابِ

ثم يستمرّ إلى أن يقول:

كيف لأندبُ الشباب؟ وقد أصد

بختُ كهلاً في محنةٍ واغترابِ

أخلقُ الشيبَ جدّي وكساني

خلعةً منه رنةً الجلابِ

كلّما زُمتُ نفضةً أقعدتني

ونبةً لا تُقلُّها أعصابي

لم تدعِ صولةً الحوادثِ مني

غيرَ أشلاءِ همّةٍ في ثيابِ

(البارودي، ص ٦٦-٦٨)

نتائج البحث

يمكن أن نلخص المباحث المطروحة في النقاط التالية:

- المنعى من العناصر المهمة في الرثاء، له أثر ثقافي سياسي في المجتمع الأدبي، مع أنه لم يكن موضع اهتمام لدى الأدباء والناقدين.

٢. راجع: شوقي ضيف، الرثاء، ص ٨-٩
٣. الندب: «إذا بكى الشاعر الميت وتفجع عليه كان نادباً» (ابو ملحم، ١٩٧٠م، ص ٨٣)
٤. لم نجد في المصادر التي كانت بين أيدينا تعريفاً اصطلاحياً للمنعى والذي قدّمناه هنا هو تعريف أخرجه الكاتب وفقاً على دراسته في موضوع البحث.
٥. الظّلامَةُ: «ما تُظلمُهُ، و هي المظلمَةُ». وهي «اسمٌ مَظلمَتِك التي تَطَلُّبها عند الظّالم يقال: أَخَذَهَا مِنْهُ ظُلامَةٌ». (ابن منظور، ج ١٢: ٣٧٥)
٦. قال العلامة الأميني مدّ ظله: هذه القضية ذكرها الراغب في محاضراته المخطوطة الموجودة - وهكذا نقلت عنها في تشييد المطاعن: ج ٢: ٤٠٩ - غير أن يد الطبع الأمانة حرفت من الكتاب مع أحاديث ترجع إلى معاوية، راجع ج ٢: ٢١٤ من المحاضرات، وقابلها بالمخطوطة منها. «الشيخ الأميني، ١٣٩٧ق، ج ١١: ٧٩»
٧. أي: اللهم اغفر. يقال: «اللهم اغفر لنا مغفرةً و عَفْراً و عُفْراً»، وإنك أنت العَفُور العَفَّار يا أهل المغفرة. (ابن منظور، ج ٥: ٢٥)
٨. والحساء: مياه لبني فزارة بين الربدة ونخل يقال لمكانها ذو حساء، والحساء جمع حسي وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخرًا، فإذا بحث عنه وجد. «الحموي، ١٣٩٩ق، ج ٢: ٢٥٧».
٩. يزيد بن خذاق الشني العبدي، من بني عبد القيس: شاعر جاهلي. كان معاصراً لعمر بن هند... قال أبو عمرو بن العلاء: هي أول شعر قيل في ذم الدنيا. (راجع: الزركلي، ١٨٢/٨)
١٠. يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق، وهو قاتل زيد. «الأميني، ج ٣: ١٠٨» أقول: أننا لم نعرش

- يشيع في المنعى، بثّ الهموم والخواطر عند الإحتضار، وتعظم المصيبة عند الناعي كما أنّ المخاطب قد يتلقّى في النعي مشاعر وأحاسيس يعبر بها الناعي عنها في كيفية تشييع المراثي وظروف تكفينه أو أمور تتعلّق بتدفينه و ما شابه ذلك مما يخصّ المتوفّي بهذا الصدد.
- للمنعي في الوحي المنزل مراتب ثلاثة وهي التشييع، والإشادة وأغراض أخرى كالتذكير والتعليم والتهويل وما إلى ذلك.
- ربّما ينعي الناعي نفسه حين ظهور آثار الموت عنده، أو ينعي نفسه علماً بالغيب بإذن الله وهذا دأب الصالحين من عباده. وقد ينعي غيره ممّن ماتوا أو قتلوا برثاء رقيق مفتح أو برثاء ساخر هاج. وقد يتوقّع موت غيره بسنين فينعاها على ذلك بشارة أو تحذيراً له.
- للمنعي فوائد جمّة تربوية وسياسية تجلو فاعليتها البارزة في المناعي الغيبية المسترسلة التي جاء بها الوحي المنزل أو حدث بها النبي(ص) والأئمّة المعصومين(ع) في هداية العباد وتشجيعهم على الصمود والجهاد والتنديد بالظالمين والتضامن مع المظلومين، وأخذهم العبرة طيلة القرون واجتناب تحريض العصبية الجاهلية و ...

الهوامش

١. والتعزية: هي تفعله من العزاء أي الصبر عن كل ما يفقده الإنسان من قريب أو صديق و إنما يتسع نطاقه إلى ما يضيعه الإنسان من كل شيء يألفه مثل القوة والجاه والمال. وقال الشهيد الأوّل في تعريفه: «يقال: عزيته فتعزى، أي صبرته فتصبر. والمراد بها طلب التسلي عن المصاب، والتصبر عن الحزن والإكتئاب، بإسناد الأمر إلى الله عز وجل ونسبته إلى عدله وحكمته، وذكر لقاء وعد الله على الصبر مع الدعاء للميت والمصاب لتسليته عن مصيبته» (الشهيد الأوّل، ١٤١٩ق، ٤٣/٢)

- [٥] الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: تحقيق وتخرّيج حسن الأمين، ١٠ ج، بيروت، دارالتعارف للمطبوعات.
- [٦] الاميني؛ الشيخ عبد الحسين الاميني، (١٣٩٧ق، الطبعة الرابعة)، الغدير، ١٢ ج، بيروت، دارالكتاب العربي.
- [٧] ابن حجر، (١٤١٥ق)، الإصابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ٣ ج، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- [٨] ابن حجر(١٤١٥ق)، تقريب التهذيب، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، لا مكان.
- [٩] ابن رشيقي القيرواني الأزدي، ابي علي الحسن(٤٥٦مق)، (١٤٠١ ق - ١٩٨١م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢ ج، ط ٥، بيروت - لبنان، دار الجليل.
- [١٠] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لا تا، لسان العرب، ١٥ ج، ط ١، بيروت، دارالصادر.
- [١١] أبو العتاهية(٢٠٠٤م)، ديوان أبي العتاهية، قدم له وشرحه ووضع فهارسه:صلاح الدين الهواري، ط ١، بيروت - لبنان، دار ومكتبة الهلال.
- [١٢] أبو فراس الحمداني(١٤١٧ق - ١٩٩٦م)، ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: خليل الدويهي، ط ٣، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي.
- [١٣] البارودي، محمود باشا سامي (١٩٩٨م)، ديوان البارودي، حققه وضبطه وشرحه: علي الحارم، محمد شفيق معروف، ط ١، بيروت - لبنان، دار العودة.

- على البيهتين في ديوانه وذكره العلامة الأميني نقلاً عن تكملة الرجال للعلامة الكاظمي، ٤٢١/١
١١. يقال: إن خراش بن حوشب هو الذي أخرج جسد زيد الشهيد من مدفنه الشريف.
١٢. سخينة: لقب قريش، لأنها كانت تعاب بكثرة أكل السخينة؛ والسخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن. يريد (ع) بانشاده أنه محفوظ من غوائل الفتك في هذه المرة باذن الله، وحلف موسي بن المهدي لقتله كحلف الفرزدق بأن يقتل المربع. رواية جرير واسمه وعوغة وهذا البيت من المثل السائر يضرب لخبية الغائل الفاتك وأنه كما سيق من قصيدة جرير العينية.
١٣. يقال: يُفْرِخُ رُوْعَكَ أي ليخرج عنك فَرْعُكَ كما يخرج الفرخ عن البيضة و أفرخ رُوْعَكَ يا فلان أي سَكَّرُ جَأْسَكَ. وقال الأزهري، أبو عبيد الله: « من أمثالهم المنتشرة في كشف الكرب عند المخاوف عن الجبان قولهم: أفرخ رُوْعَكَ يقول: ليذهب رُوْعُكَ و فَرْعُكَ فإن الأمر ليس على ما تحاذر.»(ابن منظور، ج ٣: ٤٣)

المصادر

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] ابو ملحم، علي، (١٩٧٠م)، في الأدب وفنونه، بيروت - لبنان، المطبعة العصرية للطباعة والنشر.
- [٣] الإمام علي (ع)، (١٤١٢ق، الأولى)، نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، ٢ ج، قم - إيران، دار الذخائر.
- [٤] الإمام زين العابدين (ع)، (١٤١١)، الصحيفة السجادية (ابطحي)، تحقيق: السيد محمد باقر الموحد الابطحي الإصفهاني، ط ١، قم، مؤسسة الإمام المهدي (ع) و مؤسسة الأنصارين للطباعة والنشر.

- [١٤] البغدادي، (١٩٩٨م)، خزانة الأدب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع يعقوب، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- [١٥] الحر العاملي؛ شيخ محمد بن حسن، (١٤٠٩ق)، تفصيل وسائل الشريعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ٢٩ج، ط ١، قم، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث.
- [١٦] الحموي (١٣٩٩ - ١٩٧٩ م) معجم البلدان، ٢ج، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- [١٧] دعبل الخزاعي (١٤١٧ق - ١٩٩٧م)، ديوان دعبل الخزاعي، شرحه وضبطه وقدم له: ضياء حسين الأعلمي، ط ١، بيروت - لبنان، منشورات مؤسسة النور للطبوعات.
- [١٨] الذهبي، (١٤١٣ - ١٩٩٣م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: اشرف وتخرّيج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، ط ٩، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة.
- [١٩] الزركلي، خير الدين (١٩٨٠م)، الأعلام، ٨ج، بيروت - لبنان، دار العلم للملايين.
- [٢٠] السيد ابن طاووس، (١٤١٧ق)، اللهوف في قتلى الطفوف، ط ١، قم - إيران، أنوار الهدى.
- [٢١] الشهيد الأول (محم ١٤١٩)، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ط ١، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- [٢٢] الشيخ الطوسي، (شعبان ١٤١١ق)، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح مؤسسة، ط ١، قم المقدسة، المعارف الإسلامية.
- [٢٣] الشيخ المحمودي، (١٣٨٥-١٩٦٥م)، نهج السعادة، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ط ١، بيروت، مؤسسة التضامن الفكري.
- [٢٤] الشيخ المفيد، (١٤١٤ - ١٩٩٣م)، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط ٢، بيروت - لبنان، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.
- [٢٥] ضيف شوقي، الرثاء، ط ٢، القاهرة - مصر، دار المعارف.
- [٢٦] الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، (١٤٠٧ق)، تاريخ الأمم والملوك، ٥ج، ط ١، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- [٢٧] الفراهيدي، خليل بن أحمد، (١٤١٤ق)، كتاب العين، ط ١، ٨ج، مؤسسة النشر الاسلامي.
- [٢٨] قدامة بن جعفر، ابو الفرج (١٣٠٢ق)، نقد الشعر، ط ١، قسطنطينية، مطبعة الجوائب.
- [٢٩] الكوراني العاملي، الشيخ علي، (١٤٢٥ - ٢٠٠٤م)، جواهر التاريخ، ط ١، قم، دار الهدى للطباعة والنشر.
- [٣٠] المبرد، التعازي والمرثي، موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com>
- [٣١] المتنبي (١٤٠٧ق - ١٩٨٦م)، شرح ديوان المتنبي، ٤ أجزاء في مجلدين، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ط ٢، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي.
- [٣٢] محمد علي الخطيب، بشرى، الرثاء في الشعر الجاهلي و صدر الإسلام.
- [٣٣] المجلسي؛ محمد باقر بن محمدتقي بن مقصود علي مجلسي، (١٤٠٤ق). بحار الأنوار ، ١١٠ج، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- [٣٤] المقرم، عبدالرزاق الموسوي، (١٤١٤ - ١٣٧٢ش)، مقتل الحسين (ع): أو حديث كربلاء. ط ١، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية.

- [٣٥] الموسوي المستنبط، السيد أحمد، (١٣٨١ق-
الزيارة والبشارة والرتاء والأسى، ٢ ج، ط ١،
مطبعة الغري الحديثة في النجف.
- [٣٦] النابغة الذبياني (١٤١٦ق - ١٩٩٦م)، ديوان
النابغة الذبياني، شرح وتعليق: الحنّي، ط ٢، بيروت -
لبنان، دار الكتاب العربي.

بررسی «نعی» (خبر رسانی مرگ) در مرثیه اسلامی

سید حیدر شیرازی^۱

تاریخ دریافت: ۱۳۸۸/۷/۱۴

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۴/۲۸

یکی از مهم‌ترین عناصر فن مرثیه، عنصر «نعی» یعنی اعلان فوت (خبر رسانی مرگ) افراد است که در وحی الهی و ادبیات منظوم، از اهمیت ویژه‌ای برخوردار است و نظر به اینکه موضوع «نعی» به طور مستقل در نزد ناقدان مورد بررسی قرار نگرفته، لذا از نظر اصطلاح، تعریف جدیدی برای آن ارائه شده است تا محدوده ادبی «نعی» در فن رثاء نسبت به عناصر دیگر آن یعنی (ندبه: بیان اندوه و مویه سرائی؛ تأیین: مدح و ستایش متوفی، تعزیه: ابراز همدردی و عرض تسلیت به صاحب مصیبت) بیشتر تبیین گردد. در بخشی دیگری از این گفتار به دلیل مشابهت‌هایی که بین نعی گزنده در فن مرثیه و فن هجاء از نظر مضمون، وجود دارد، به بیان مرز تفاوت بین این دو فن از فنون شعری پرداخته شده است. همچنین در یک بررسی موضوعی از قرآن کریم، و تقسیم‌بندی کلی، «نعی» به سه دسته نعی تقییح کننده، نعی ستایش کننده، و نعی بی‌طرفانه تقسیم شده، و برای هر یک، نمونه‌هایی از کتاب خدا بیان گردیده، و به برخی از نکات مثبت تربیتی و اخلاقی آن نیز اشاره شده است.

در بخش دیگری از این گفتار، «نعی» در ادبیات منظوم اسلامی، به دو نوع تقسیم شده است که عبارتند از: خبر رسانی از مرگ خود، خبر رسانی از مرگ دیگران. که در هر یک از این اینها خبر رسانی به دو گونه مطرح شده است: برخی، از سالها پیش با علم غیب (یقین) از مرگ خود و یا دیگران مرثیه می‌گویند که این ویژه بندگان صالح خداوند است و برخی هنگام فرارسیدن مرگ و ظهور آثار و نشانه های حتمی آن، به خبر رسانی از مرگ در مرثیه می‌پردازند مانند بسیاری از شاعرانی که برای خویش مرثیه سرائی کرده‌اند، و برای آن نمونه‌هایی از اشعار شاعران متعهد ذکر شده است.

کلید واژگان: نعی (خبر رسانی مرگ)، مرثیه، ادبیات، شعر عربی

^۱ استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس، بوشهر